النقدُ الأدبيُّ عند الأصمعيِّ

Literary criticism according to Al-Asma'i

د. مهند حسن حمد الجبالي
جامعة عجلون الوطنية – الأردن

Dr. Muhannad Hassan Hamad Al-Jabali
Ajloun National University - Jordan

majdyjaber3@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢٣/٨/٢٣ تاريخ القبول ٢٠٢٣/٨/٣١

الكلمات المفتاحية: الأصمعي، النقد، الأدب، خصائص، شعر

Keywords: Al-Asma'I, Criticism, Literature, Characteristics, Poetry

الملخص

يتناول هذا البحث موضوعاً نقدياً من موضوعات النقد العربي القديم، وذلك من خلال دراسة ظاهرة النقد عند عالم من علماء اللغة العربية هو الأصمعي، ويتكون هذا البحث من عنوانات عدة، إذ يبدأ بعرض ترجمة موجزة عن حياة الأصمعي وأبرز محطات حياته العلمية، ومكانته العلمية في اللغة والنقد الأدبي، ثم يعرض لمحة إلى جهود اللغويين في النقد الأدبي واختلافه عن جهود الأدباء والنقاد، وأيضاً يتناول البحث موقف الأصمعي من الشعر، تليها مكانة الأصمعي بوصفه ناقداً أدبياً، ثم يدلف البحث إلى تحديد صفات الأصمعي من حيث كونه ناقداً أدبياً كالتواضع والموضوعية والورع وغيرها من الصفات التي ترسم ملامح شخصيته النقدية، وأخيراً كان أن درس البحث أبرز الخصائص الفنية للنقد الأدبي عند الأصمعي مشيراً إلى غلبة الطابع اللغوي على نقده.

Abstract

This research deals with a critical topic of the topics of ancient Arab criticism, through the study of the phenomenon of criticism when a scientist of the Arabic language is Al-Asma'i, and this research consists of several titles, as it begins with a brief translation of the life of Al-Asma'i and the most prominent stations of his scientific life, and his scientific status in language and literary criticism, then presents a glimpse of the efforts of linguists in literary criticism and its difference from the efforts of writers and critics, and also the research deals with the position of Al-Asma'i from poetry, followed by the status of Al-Asma'i as a literary critic, Then the research to identify the qualities of Asma'i in terms of being a literary critic such as humility, objectivity, piety and other qualities that draw the features of his critical personality, and finally it was that the research studied the most prominent technical characteristics of literary criticism when Asma'i, pointing to the predominance of linguistic character on criticism.

ترجمة الأصمعي:

هو عبد الملك بن قُرَيب بن علي بن أصمَع بن أعْيا بن سعد بن عبْد غَنْم بن قتيبة بن مَعْن بن سعد مَناة الباهليّ. وبعضهم يرى نسبه بعد الأصمع من غير هذه الطريق.

روى عنه أبو حاتم وأكثر في الرواية عنه، وأخذ عنه عبد الرحمن ابن أخيه، الذي روي عنه أنه سمع عمه الأصمعي يقول: إنه يحفظ (١٤) ألف أرجوزة. وقال أبو حاتم إنها (١٦) ألف أرجوزة منها القصار ومنها الطوال هكذا أخبره الأصمعي. والأصمعي عالم صَدوق ثقةٌ مأمونٌ.

وتوفي بمَرْو خراسان سنة (٢١٦هـ) وهو ابن إحدى وتسعين سنة في صَفر، وفي بعض الروايات في رمضان[١].

وروى عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن عبد الله وأبو عُبيد القاسم بن سلّام وأبو حاتم السِّجستانيّ وأبو الفضلِ الرِّيَاشيّ وأحمدُ بنُ محمدٍ اليَزيديّ وغيرُهم[٢].

وهو أحدُ أئمةِ اللغة والغريب والأخبار والمُلَح والنوادر، روى عن أبي عمرو بن العلاء وقرّة بن خالد ونافع بن أبي نعيم وشعبة وحماد بن سلمة.

قال عمرُ بنُ شَبّةَ: سمعتُهُ يقول: حفظتُ ستةَ عشرَ ألفَ أرجوزةٍ.

وقال الشافعيُّ: ما عبّرَ أحدٌ عنِ العرب بمثل عبارة الأصمعي.

قال ابن معين: ولم يكن ممن يكذب، وكان من أعلم الناس في فنه.

وقال أبو داود: صدوق، وكان يتقي أن يفسّر الحديث، كما يتقي أن يفسر القرآن. وكان بخيلاً ويجمع أحاديث البخلاء.

وتناظر هو وسيبويه، فقال يونس: الحقّ مع سيبويه، وهذا يغلبه بلسانه[٣]. وعنه أنه قال: حضرتُ أنا وأبو عُبيدة عند الفضل بن الربيع، فقال لي: كم كتابك في الخيل؟ فقلت: مجلد واحد، فسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال: خمسون مجلداً، فقال له: قم إلى هذا الفرس، وأمسك عضواً عضواً منه وسمّه، فقال: لست بيطاراً، وإنما هذا شيء أخذتُه عن العرب، فقال: قم يا أصمعي، وافعل ذلك، فقمت وأمسكت ناصيتَه، وجعلت أذكرُ عضوا عضواً، وأضع يدي عليه، وأنشد ما قالته العرب إلى أن بلغت حافره، فقال: خذه، فأخذت الفرس. وكنت إذا أردت أن أغيظه ركبتُه وأتيته.

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ١٦٧-١٧٤.

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي علي بن يوسف، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م): ١٩٩/٢.

(٣) بغية الوعاة: ١١٢/٢.

صنّف غريب القرآن، خَلْق الإنسان، الأجناس، الأنواء، الهمز، المقصور والممدود، الصفات، الخيل، الشاء ...[١]

لمحة إلى النقد الأدبي عند اللغويين:

نقد الأدب كما هو معلوم من وظائف الناقد الأدبي، وتخصصاته، وفي التراث العربي القديم نهض كوكبة من النقاد العرب الخبراء في هذا المجال، فخاضوا في تلمس الجوانب الجمالية والفنية لدى الشعراء، فكان النقد الإيجابي، وفي المقابل تسليط الضوء على مكامن الخلل والثغرات أو الهفوات التي سقطوا فيها، فكان النقد السلبي.

ولكن من الغريب أن يخوض اللغوي في نقد الأدب، وهي ليست مهمته، ولا من صلب تخصصه، ولكن لا شيء يمنعه من ذلك، فخبرته اللغوية لها دورها في سبر الشعر ووضعه في ميزان النقد، وإن كان جُلُّ ما وصل إلينا من نصوصهم النقدية تتصف بالطابع اللغوي. فنقدهم كان أقرب إلى ما يعرف اليوم بالتدقيق اللغوي الذي يُعرَّف بأنه فن تخليص النصوص من الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية والإملائية وغيرها.

وقد أفرد الدكتور محمود الربداوي مبحثاً كاملاً تناول فيه علاقة اللغويين بالأدب من حيث نقدهم له، وعرّج على جهود العلماء في القرنين الأول والثاني وانصرافهم إلى تفسير كتاب الله وسنة رسوله، فاستلزم ذلك جمع الشعر القديم ليستعان به على التفسير، ثم اتسعت دائرة البحث فقصَرَ بعض العلماء جهودهم على جمع الشعر القديم وشرحه، وعلى الرغم من عناية هؤلاء العلماء الخاصة باللغة وقواعدها لم يفُتْهم أن يخوضوا في نقد الشعر[٢].

موقف الأصمعي من الشعر:

غُرِيَ الأصمعيُّ بالشعر، وعُرف بحبّه له، بدا ذلك واضحاً من خلال نشاطه اللغوي الكبير في مراقبة الحركة الأدبية في عصره وفي النتاج الشعري السابق لعصره، فتتبّع أقوال الشعراء وأصدر بحقهم أحكاماً نقديةً صارمة، جعلته يكون بموقف الحارس الأمين على تخوم الشعر

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م): ١١٣/٢.

(٢) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام تاريخها وتطورها وأثرها في النقد العربي، د. محمود الربداوي، دار الفكر، بيروت، د.ت: ١٩.

العربي درءاً له من أخطار الأخطاء التي قد تترسخ في أذهان الشعراء الخالفين، فتصبح منهجاً مُخلّاً بعمود الشعر.

ومما يروى عن حب الأصمعي للشعر حدثنا الأصمعي عن أبي الزِّناد قال: قيل لسعيد بن المسيّب: إن أناساً يكرهون إنشاد الشعر فقال: نَسَكوا نُسكاً أعجميّاً[١].

مكانة الأصمعي ناقداً:

لم يختلف العلماء والأدباء على إمامة الأصمعي في اللغة، ولكنهم اختلفوا في مكانته أديباً وناقداً للشعر والأدب، وكان اختلافهم حوله في ضوء موازنته مع نظيره خلف الأحمر، كما لو أن خلفاً هو المقياس الذي يُعرض عليه النقاد ويُقيَّمون في ضوئه، فيحمل عليه بالضعف أو القوة مقارنة به. فانقسموا إلى فريقين، الفريق الأول قدمه على خلف، والفريق الآخر قدم خلفاً عليه.

فممن قدم خلفاً على الأصمعي أبو بكر بن دريد. قال أبو علي الفارسي (-٣٧٧هـ): وكنت أنا كثيرَ التعطُّف على الأصمعيّ؛ فكنتُ أسأل أبا بكر بن دريد كثيراً عن خلف والأصمعيّ: أيهما أعلم؟ فيقول لي: خلف، فلما أكثرتُ عليه انتهرني وقال: أين الثِّمادُ من البحور!

ولكن رأي ابن دريد في الأصمعي لم يحالفه كثير صوابٍ، فنحن لسنا ضد أن يقدم الأحمر على الأصمعي، لكننا لا نوافقه على رسم هذه الفجوة الواسعة بينهما، وجعل الفارق عظيماً بينهما، فوصف الأصمعي بالضآلة أمام الأحمر، في قوله: أين الثماد من البحر. ويعني بالثماد الأصمعي والبحور الأحمر. ولعل الغضب حمله على قول هذا الكلام الذي يظهر فيه أثر الانفعال اللحظي. يدل على ذلك قوله البحور ولم يقل البحر. وتصغيره لشأن الأصمعي إلى حد الثماد. والثماد أو الثَّمَد: الماء القليل الذي لا مادَّ له. وقيل: هو الذي يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف. وقيل: الثماد: الحُفَر يكون فيها الماء القليل[٢].

ومنهم من قدّم الأصمعي على خلف، قال الرياشي: سمعت الأخفش يقول: لم نُدرِكْ ها هنا أحداً أعلم بالشعر من خلف والأصمعي، قلت: أيهما كان أعلم؟ قال: الأصمعي. قلت: لِمَ؟ قال: لأنه كان أعلم بالنحو[٣]. وكما هو ملحوظ فقد احتجَّ الأخفش لنصرته رأيَه بتقدم الأصمعي في علم النحو على خلف، وهذا يدل على وعي العلماء بأهمية النحو في علوم

(١) طبقات النحويين واللغويين: ١٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعرف، القاهرة، د.ت، ثمد.

(٣) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: ١٦٢، ١٦٣.

الشعر العربي وفنونه، فمن يكن أنحى يكن أعلم بالنقد وأسراره وغوامضه. ولكن لا ينبغي أن يُفهَم من قول الأخفش أن النقد محصور في النحو، وإنما صدر حكم الأخفش في سياق خاص هو موازنة الأصمعي بخلف الأحمر، فتساوى خلف والأصمعي بامتلاك كل واحد منهما بصفات الناقد الأدبي، فلم يجد الأخفش ما يميز بينهما سوى النحو، فنظر، فوجد تقدم الأصمعي على خلف في هذا الباب، ففاضل بينهما.

ومما يدل على علو مكانة الأصمعي في نقد الشعر واختبار الشعراء، طلبُ الملوك له، وإشخاصه للاستماع إلى رأيه، والعمل به. قال الأصمعي: بعث إليّ محمد الأمين – وهو ولي العهد يومئذ – وقال: إن أمير المؤمنين قد استدعاك على دواب البريد – وبين يديه السنديّ بن شاهك – فقال: خذه وسرْ. فسرتُ، فلما وصلت إلى الرقة أحضرني الفضل بن الربيع إلى الرشيد، وهو منفرد، وسلّمت، فردّ واستدناني وقال: أُهديتْ إليّ جاريتان وأردت أن تختبرهما – وأمر بإحضارهما، وهما أحسن شيء – فسألت إحداهما عن كل فن من فنون الأدب، فأجبت بجواب حسن، فاستنشدتها فأنشدت:

يا غياثَ البلاد في كل مَحْلٍ ما يريد العبادُ إلا رضاكَ

لا ومن شرّف البلادَ وأعلى ما أطاع الإلهَ عبدٌ عصاكَ

واختبرتُ الأخرى فوجدتها دونها؛ فقلت: ما تبلغ منزلة هذه، وإذا رُوِّضتْ بالتعليم جادتْ. فأمر بتجهيز الموصوفة وتحسينها لينال منها"[(١)].

وهكذا، فهارون الرشيد، وهو من هو، يستدعي الأصمعي ويأنس برأيه في الموازنة بين جاريتين، فينقد كل واحدة منهما ثم قدم توجيهاته للأخرى حتى تطور وتحسن من موهبتها في قول الشعر.

صفات الأصمعي ناقداً:

اتفق النقاد وعلماء الأدب على مجموعة من الصفات التي لا بد أن تتوافر في الناقد حتى يكون ناقداً مرموقاً متزناً، ومن هذه الصفات الموهبة الفطرية التي تمكّن الناقد من تذوق النص الأدبي وتلمس مكامن الإبداع فيه، والعدالة والنزاهة في إصدار الأحكام مع التواضع والحياد الكامل بالنسبة إلى كل الأدباء، فالنقاد ليسوا جلادين يتشفون بإظهار معايب المبدعين

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ١٩٩/٢: ٢٠٠.

ويبحثون عن مواطن الضعف لديهم[١]. والوقوف على مسافة واحدة تجاه جميع الأدباء من دون التحيز لأديب على حساب آخر.

وإن وظيفة النقد ليست هينة، وليس في مقدور كل شخص أن يضطلع بمهامه، أو أن يتصدى لتقويم الأدب وإبداء رأي فيه، لأن الناقد هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يقوم العمل الأدبي فنياً وموضوعياً[٢].

ولا يشترط في ناقد الأدب أن يكون قادراً على إنشائه، وإن كانت أقدم نماذج النقد عند العرب تتمثل في نقد الشاعر شعره والوقوف عليه بالتهذيب والتنقيح[٣]. يقول ابن رشيق" وقد يميز الشعر من لا يقوله كالبزاز يميز من الثياب ما لا ينسجه والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسكبه ولا ضربه حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته"[٤].

ولقد كانت هناك طائفة من النقاد الذواقين في عصر بني أمية – لابن أبي عتيق وسكينة بنت الحسين، وغيرهما – تنقد الشعر وتبدي فيه رأياً دون أن تقدر على نظمه، كما كان ابن سلام لا ينظم الشعر ومع ذلك كان من أبرز نقاد عصره. وإنما يشترط في ناقد الأدب أن يكون قادراً على تذوقه وتمييز قيمه، والتعليل لحكمه تعليلاً موضوعياً حتى يظل النقد في خدمة الأدب ورسم الطريق الأمثل له"[٥].

يشترط النقاد في الناقد الأدبي عدة شروط نذكرها بإيجاز ثم نفصل القول في كل واحد منها على حدة وهذه الشروط هي:

١- الذوق

٢- الثقافة

٣- تمرس الناقد بالنقد وخبرته، أو دربته وممارسته

٤- ضمير الناقد الأدبي" م. س٩

وللذوق مصادر يتكون منها ويتربى عليها، وأهم هذه المصادر مخالطة الصفوة المختارة من رجال الأدب[٦].

---

(١) مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، د. شلتاغ عبود شراد، مجدلاوي، عمان، الأردن، ط١، (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م): ٦٦، ٦٧.

(٢) في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة (١٤١٩هـ ١٩٩٨م)، د. مصطفى عبدالرحمن إبراهيم: ٥.

(٣) المصدر نفسه: ٨.

(٤) العمدة، ابن رشيق، تح محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت.، د.ت: ١١٧/١.

(٥) في النقد الأدبي القديم عند العرب، د. مصطفى عبد الرحمن إبراهيم: ٨.

(٦) الذوق الأدبي، د. عبد الفتاح علي عفيفي، مطبعة الأمانة، د.ت: ٩.

وأما الأصمعي فمن أبرز الصفات التي توافرت فيه، وجعلته معدوداً في نُقّاد الأدب ما يأتي:

١- **التواضع:**

لم ينحُ الأصمعي منحًى واحداً فقط في نقده، بل تنوع أسلوبه النقدي بحسب المقام ومقتضى الحال، فنقده للشاعر وهو بين يديه حاضر يختلف عن نقده له عن بعد وهو غائب أو متوفى، وفي كلا الحالتين لم يؤخذ عليه أنه كان قاسياً ولا فظًا ولا متكبِّراً على منقوده. بل كان متواضعاً مجانباً للكبر، ومن الشواهد الجلية على ذلك ما روي عن الأصمعي أنه سمع أبا عمر يقول: أنا أعلم الناس بالنحو، فقال له الأصمعي: يا أبا عمر، كيف تنشد قول الشاعر:

قد كُنَّ يَخْبَأْنَ الوجوه تستُّراً فالآن حين بدأن للنُّظّارِ

بدأن أو بدين؟ فقال أبو عمر: بدأن. فقال الأصمعي: يا أبا عمر، أنت أعلم الناس بالنحو! يمازحه. إنما هو بَدَوْنَ، أي ظهرنَ. فيقال: إن أبا عمر تغفَّل الأصمعيَّ فجاءه يوماً وهو في مجلسه فقال له: كيف تصغّر مختاراً؟ فقال الأصمعي: مُخيتير، فقال أبو عمر: أخطأت، إنما هو مُخيِّر أو مخيير بحذف التاء لأنها زائدة[١]. وكما يلحظ فقد صرح صاحب هذا الخبر أن الأصمعي كان يمازح أبا عمر، ولو كان يتهكم أو يسخر منه لذكر ذلك.

٢- **الموضوعية:**

لا يمكن أن يصل المرء إلى مرتبة الناقد ما لم يتصف بالموضوعية والعلمية في إطلاق أحكامه النقدية على الأعمال الأدبية، وأن يقول الحق ولو على نفسه، فالناقد في عالَم الشعر والأدب كالقاضي في محكمة القانون، يجب أن يكون منصفاً، يفصل بين الموضوع والشخصية، أي بين العمل الأدبي وصاحبه، بين الشعر والشاعر، فلا يمنعه كرهه لشخص الشاعر قول الحق، ولا يدفعه حبه الشاعر إلى مجانبة الحق. وهذه الصفة الموضوعية مما نجده عند الأصمعي، ولا أدل على ذلك من جواب الأصمعي لسائله مظهراً رأيه بنفسه ومصدراً حكمه النقدي الموضوعي بعيداً عن هوى النفس، وتزيين الأنا، فكان الأصمعي عالماً ورعاً وناقداً متزناً لا يبحث عن الشهرة، لا يثنيه هوى النفس عن قول الحق ولو على نفسه، يؤيد ذلك قول الأصمعي في خلف الأحمر كأنه يؤبّنه: ذهبتْ بَشاشةُ الشعر بعد خَلَف الأحمر، فقيل له: كيف وأنت حيّ؟! فقال: إن خلفاً كان يحسن جميعه، وما أحسِنُ منه إلا

(١) المزهر في علوم اللغة، السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، تح: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.ت: ٣٧٨/٢.

الحواشي[1]. فقسم الشعر بينه وبين الأحمر، فجعل الرونق والجوهر واللُّبَّ لخَلَفٍ، وجعل لنفسه الحواشيَ والقشورَ. ونحن لا نوافق الأصمعيَّ على ما ذهب إليه، فمكانته في الأدب لا تخفى على أحد. إلا أن تواضعه وورعه دفعه إلى قول ذلك.

٣- **الوَرَع:** وهي من الصفات الإضافية التي تحلى بها الأصمعي، وجعلته شخصية نقدية استثنائية، فعلى الرغم من سعة علمه، وعمق بصيرته، وأصالة ذائقته الفنية، إلا أنه كان يضيّقُ في اللغات، وكان الأصمعي لا يفتي إلا فيما أجمع عليه العلماء، ويقف عما ينفردون عنه، ولا يجيز إلا أفصح اللغات، ويلح في دفع ما سواه[2]. ولا يلقي على طلابه من علمه إلا ما ثبتت روايته عنده، واتصل سندها إلى قائلها، وما كان ذلك إلا خوفاً من الله سبحانه وتعالى، وهذا أوضح دليل على صدق لسانه، وإخلاصه في علمه، وعدم تهافته على الشهرة، وانتشار صيته.

قال أبو الطيب: لم يرَ الناسُ أحضرَ جواباً، وأتقنَ لما يحفظُ من الأصمعي، ولا أصدقَ لهجةً، وكان شديد التألُّه، فكان لا يفسر شيئاً من القرآن، ولا شيئاً من اللغة له نظير واشتقاق في القرآن، وكذلك الحديث تحرُّجاً، وكان لا يفسر شعراً فيه هجاء، ولم يرفع من الأحاديث إلا اليسيرة، وكان صدوقاً في كل شيء[3].

فرجلٌ جمع كل هذه الصفات حريٌّ به أن يُطمأنّ إلى علمه، ويؤخذ منه، ويُتحمَّل عنهُ العلمُ. وقال عنه إبراهيم الموصلي: عجائب الدنيا معروفة معدودة، منها الأصمعي[4].

ولكن مما يثير الشكوك، ويدفع المرء إلى التساؤل والاستهجان بشأن نزاهة الأصمعي وورعه ذلك الخبرُ الذي رواه القِفْطيُّ عن قصة دارتْ بين الأصمعي وعباس بن الأحنف في مجلس محمد بن هارون، قال الأصمعي بعث إلي محمد بن هارون، فدخلت عليه، وفي يده كتاب يديم النظر إليه، ويتعجب منه، ثم قال: يا عبد الملك، أما تعجب من هذا الشاب وما يجيء به؟! فقلت: من هو؟ فقال: عباس بن الأحنف، ثم رمى بالكتاب إليَّ فإذا فيه شعر قاله عباس:

إذا ما شئت أن تصنـ ع شيئاً يُعجب الناســـا
فصوِّرْ هـــاهنا فوزاً وصوّر ثَمَّ عبـاســـا
ودعْ بينهمـــــا شبراً وإن زدتَ فلا باســـــا

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: ١٦٤.
(٢) المزهر في علوم اللغة، السيوطي عبد الرحمن جلال الدين: ٤٠٤/٢.
(٣) المصدر نفسه: ٤٠٤/٢.
(٤) المصدر نفسه: ٤٠٤/٢.

فـــتإن لـم يدنـُوا حتى ترى رأسيهما راســـــا
فكذِّبْهما بما قـــاست وكذِّبْـه بـمـــــا قاسى

قال الأصمعي: وكان بيني وبين عباس شيء، فقلت: مُسترَقٌ يا أمير المؤمنين، فقال: ممن؟ قلت: من العرب والعجم، قال: ما كان من العرب؟ قلت: رجل يقال له عمر، هوي جارية يقال لها قمر، فقال:

إذا ما شئتَ أن تصنـ ع شيئاً يُعجب البَشَرا
فصوِّر هاهنـا قـمرا وصوّر هاهنا عُمَرا
فإن لـــم يدنُوَا حتى ترى بشريهما بَشَرا
فكذّبْهمـا بما ذكرت وكذّبـــه بما ذكرا

قال: فما كان من العجم؟ قلت: رجل يقال له "فَلْقاء" هوي جارية يقال لها زورق، فقال:

إذا ما شئتَ أن تصنـ ع شيئاً يعجب الخَلْقا
فصوِّرْ هاهنا زورق وصوِّر هـــاهنا فَلْقـا
فإن لـم يدنـوا حتى ترى خلقيهمـا خَلْقـــا
فكذبهما بما لاقـت وكذّبـــه بمـا يلقـى

قال الأصمعي: فبينا نحن كذلك إذا جاء الحاجب، فقال: عباس بالباب، فدخل فقال: يا عباس، تسرق معاني الشعر وتدعيه، فقال: ما سبقني إليه من أحد. فقال محمد: هذا الأصمعي يحكيه عن العرب والعجم، ثم قال: يا غلام، ادفع الجائزة إلى الأصمعي.

فلما خرجا قال العباس: كذبتني وأبطلت جائزتي! فقلت له: أتذكر يوم كذا! وأنشأت أقول:

إذا وَتَرْتَ أمراً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا(١).

ولعلّ أكثر ما يثير القلق في هذا الخبر قول الأصمعي: وكان بيني وبين عباس شيء. ومن دون أدنى تأمّل فإنه يُفهَم من هذه العبارة أن الأصمعي يريد الانتقام منه، على إثر حادثة جرت بين الرجلين، ولاسيما أنه قال: إذا وترت أمراً فاحذر ... إلى آخر البيت. فهو يخبر بعداوة حصلت بينهما، وكأن الوقت حان للأخذ بثأره من عباس.

ولكن، وعلى الرغم مما جاء في هذا الخبر، فإننا لا نسلم ألبتة بصحة هذا الخبر، فكيف لعالم ورع مثل الأصمعي، لا يفسر شيئاً في القرآن من شدة ورعه، وخوفه من رب العالمين، أن يكذب على غيره، ويتهم غيره بالسرقة والسطو على جهود الشعراء الآخرين، والأشد من هذا وذاك أخذه للجائزة من صاحب المجلس، وخروجه من عنده، وهي حرام عليه. وإن صحت هذه القصة وصح هذا الخبر فلغة الحوار وعبارة الأصمعي لا تقطع بكذب الأصمعي، إذ يفهم منها

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي: ٢٠٥-٢٠٦.

وجه صالح لتخريجها على ما يبرئ الأصمعي، وهذا الوجه هو أن عباساً حقاً أخذ أبياته من غيره كما زعم الأصمعي، وعاتب الأصمعي عندما غادرا المجلس، يؤكد ذلك عدم استماتته في الدفاع عن نفسه ضد خصمه الأصمعي، واكتفى بقوله: ما سبقني إليها من أحد.

٤- **الإمساك:** كان الأصمعي يُمسكُ عن الردّ على العلماء في حضرتهم، إعزازاً للعلم، وصوناً له، ووقوفاً عند حدود الأدب، عملاً بحديث رسول الله صلى الله عليه ولم:" من ترك المراء" فلم يكن الأصمعي يماحكُ ولا يسعى إلى الجدال الذي لا نفع معه، بل كان وقّافاً عند حدود الحق المبين.

قال سلَمة: أنشد الكسائي الرشيد بحضرة الأصمعي:

أم كيف ينفع ما تُعطَى العَلُوق به رئمانَ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللبنِ

قال الأصمعي: (رئمانُ أنفٍ)، فقال الكسائي: (رئمانَ أنف)، و(رئمانَ أنف)، اسكتْ، ليس هذا من صنعتك.

قوله: (رئمان أنف) يريد أنها ترأم البَوَّ، وهي مع ذلك لا تدرّ اللبن، والعَلوق: التي ترأم بأنفها وتمنعُ ضَرْعَها. ويقال: العلوق من النوق التي تريد الفحل ولا ترأم الولد، ومن النساء التي لا تحبّ غير زوجها(١).

قال المبرد: كان أبو زيد الأنصاري صاحبَ لغة وغريب ونحو، وكان أكثر من الأصمعي في النحو، وكان أبو عبيدة أعلمَ من أبي زيد والأصمعي بالأنساب والأيام والأخبار، وكان الأصمعي بحراً في اللغة لا يُعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية، وكان دون أبي زيد في النحو"(٢).

وأما إن كان على حق، فلم يكن يمسك عن الرد على نظيره، وهذا حقه، فالحق أحق أن يتّبع، ولكنه أيضاً لم يكن يجادل ويذهب عميقاً في الجدال والمماحكة، بل يقطع المحاورة بعبارة حاسمة تدل على رغبته في إنهاء الجدال.

حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: لما قدم المفضّل البصرة أنشد بيت أوس بن حَجَر:

وذات هِدْمٍ عارٍ نواشرُها تُصمِتُ بالماء تَولَباً جَذَعَا

فقال الأصمعي: ما (جَذَعا)؟ قال: الصغير، كالجذَع من الغنم. قال: إنما هو (جَدِعَا) سيئ الغذاء. وكذلك المُحثَّل والمُقربَب والضاوي والمودَن. قال المفضل: لا يكون إلا (جَذَعا) في هذا الموضع. قال الأصمعي: لو نفخت في شَبُّور اليهود ما كان إلا (جَدِعا)، ولا ترويه بعد اليوم إلا (جَدِعا)(٣).

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: ١٢٨، ١٢٩.

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي: ٢/ ٢٠١

(٣) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: ١٧٤.

الخصائص الفنية لنقد الأصمعي:

امتاز نقد الأصمعي الأدبي ببعض الخصائص الفنية التي تميزه من نقد نُقّاد الأدب ومن نقد نُقّاد اللغة، ومن الأسباب التي أفرزت هذه الخصائص وحدَّدتها ثقافته اللغوية العميقة، ولكن هذا لا يعني انقطاعه الكلي عن الأدب، فتخصصه اللغوي يرتكز على المخزون الأدبي الضخم، واحتجاجه لآرائه اللغوية يستند إلى الشواهد الشعرية كثيراً. ومن أبرز الخصائص الفنية لنقد الأصمعي:

١- **الطابع اللغوي**: وهذه أهم خصيصة في نقد الأصمعي، إذ هيمنت الثقافة اللغوية له على آرائه النقدية، وغلبت عليها، حتى جعلت نقده أشبه ما يكون بالتدقيق اللغوي، كما أسلفنا، وفي نصوص التراث المتناثرة في بطون الكتب شواهد كثيرة وأخبار لطيفة في هذا الجانب. حدثنا أبو حاتم حدثنا الأصمعي حدثنا عيسى بن عمر قال: قال رجل لأبي الأسود الدؤلي ومعه بعير يبيعه: هلمّ أقاربْكَ، فقال: إن لم تقاربْني باعدتك، فقال: أُعطيتُ به كذا وكذا، وهو لك بكذا وكذا، فقال: ما تزال تحدِّث عن خيرٍ قد فات! قال الأصمعي: قال أبو الأسود: ليس للسائل الملحف خيرٌ من المنع الجامس. قال أبو حاتم: يريد الجامد، يقال: أصبح الماء جامساً، وكذلك السمن(١).

وجاء في اللسان أن الجامس من النبات ما ذهبت غُضُوضتُه ورطوبته فولّى وجَسَا. وجمس الودَك جمد وكذا الماء والماء جامس أي جامد. وقيل: الجُمُوس للسمن والجُمود للماء. وسئل عمر رضي الله عنه عن فأرة وقعت في سَمْنٍ فقال: إن كان جامساً أُلقي ما حوله وأُكِل، وإن كان مائعاً أريق كلُّه(٢).

وقال الأصمعي: سألت الخليل بن أحمد النحوي عن قول الراجز:

حتى تحاجزْنَ عن الذّواد تحاجُزَ الرِّيّ ولم تكادِي

لِمَ قال: تكادي ولم يقل (ولم تَكَدْ)؟ قال: فطحن يوماً أجمع. قال: وسألت أبا عمر بن العلاء – وكأنما كان على طرف لسانه – فقال: ولم تكادي أيها الإبل(٣).

قوله ليس من صنعتك لعله يريد أن الأصمعي لغوي وليس بنحوي مثله. أي إشارة منه إلى ضعفه في تخريج النصب في رئمان.

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: ٢٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، جمس.

(٣) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: ٣٨.

حبّ الناقد للمنقود وأثره في الحكم النقدي:

" وأخذ على النابغة قوله:

أَلِكْني يا عُيَيْنُ إليكَ قولاً ستحمله الرواة إليكَ عني

وقالوا: قوله (ألكني) أي: كُن لي رسولاً، فكيف يكون (ألكني) إليكَ قولاً: أي كن رسولي إلى نفسك، ثم يقول: ستحمله الرواة إليك عني.

فاعتذر له الأصمعيّ وقال: هذا مما حملته الرواة على النابغة! كأنه يدفع أن يكون قاله[١].

تخريج المعنى الخطأ بالاستملاح والضحك:

"وأخذ على المسيب قوله:

وقد أتناسى الهمَّ عند احتضاره بناجٍ عليه الصَّيْعريَّةُ مُكْدَمِ

وقالوا: الصيعرية سمة للنوق لا للفحول، فسمعه طرفة بن العبد – وهو صبي – فقال: استنوق الجملُ، وضحك منه. فذهبت مثلاً"[٢].

" وقرئ على الأصمعي قول أبي النجم:

يسبحُ أخراهُ ويطفو أولُهْ

فقال: حمارُ الكُسَاحِ – إذاً – أَفْرَهُ منه"[٣].

فلم يرضَ الأصمعيُّ عن وصف الشاعر للفرس فخلص إلى أن حمار الكساح أفضل منه. ولكن محقق الموازنة الأستاذ السيد أحمد صقر وافق الأصمعيَّ في نقده وأيده وعرض رواية أخرى للبيت (يسبح أولاه ويطفو آخره) والبيت على هذه الرواية يبرأ من العيب الذي عابه به الأصمعي. فالجواد إنما يوصف بأنه تسبح أخراه[٤].

ولعل المتنبي فاته قول عدي بن زيد في وصف الفرس:

يبذُّ الجيادَ فارِهاً متتابعاً

فقد أخذ على قائله وصفه للفرس بالفاره، وإنما يقال له جواد وكريم، والفاره هو البغل والحمار"[٥].

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تح/ السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م: ١/ ٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤٢/١.

(٣) المصدر نفسه: ٤٢/١.

(٤) المصدر نفسه: ٤٢/١.

(٥) المصدر نفسه: ٤١/١.

ولعل الأصمعي لم يُعنَ بنقد هذا البيت ولم يأبه به لوضوح الخطأ فيه ومعرفة القاصي والداني خطأه. بل كان الأصمعي مختصاً بما دقّ من أخطاء خفية، وترك نقد الأخطاء الجليّة إداماً لغيره.

وقد كان الأصمعي أكثر اللغويين الذين نقدوا الشعر يشهد على ذلك كثرة آرائه النقدية مقارنة بابن الأعرابي.

٢- **الانتصار للقديم:** كان الأصمعي كغيره من النقاد في زمنه ممن تعصبوا للشعر القديم، وفضّلوه على أشعار المحدثين، وعلى رأسهم ابن الأعرابي وأبو حاتم السجستاني، وأبو سعيد الضرير، ومن أشهر ما روي عن ابن الأعرابي في هذا الجانب قوله:" إنما أشعار هؤلاء المحدثين – مثل أبي نواس وغيره – مثل الريحان، يشم يوماً ويذوي فيرمى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر، كلما حركته ازددت طيباً[١].

ومما يروى عن الأصمعي في تعصبه للقديم: قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: دخلت على الأصمعي فأنشدته أبياتاً قلتُها ونسبتها إلى بعض الأعراب، وهي:

هل إلى أنْ تنـامَ عيني سبيـلُ إنَّ عَهدي بالنوم عَهدٌ طويلُ

غاب عنّي منْ لا أُسمّي فعيني كلَّ يومٍ، وَجْداً عليـه تسيلُ

إنَّ ما قَـلَّ عندكَ يكثرُ عندي وكثيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ القـــليـــلُ

قال: فجعل يعجَبُ بها ويردِّدُها، فقلت له: إنها بناتُ ليلتها، فقال: لا جرمَ أنَّ أثر التوليد فيها بيّنٌ، فقلت: ولا جرم أنَّ أثرَ الحسد فيك ظاهرٌ[٢].

ولكنَّ الأصمعيَّ لم يكُنْ مبالغاً في تعصُّبه للقديم كابن الأعرابي، يشهد على ذلك هدوءه في كلامه الآنف. ولعل الموصليَّ جارَ على الأصمعي وقسا عليه في كلامه، فما يدرينا لعل الأصمعي حقاً استشعر أثر التوليد في الأبيات، وشَكَّ في أقدميَّتها لكنَّه أخفاها ولم يُبْدِها حتى أثاره الموصلي بصراحته، فقطع شكه باليقين.

وممّا يلفت الانتباه أنَّ هؤلاءِ اللغويينَ – بحكم عملهم في اللغة وتصيُّدهمُ الشواهدَ التي تؤيِّدُ القواعد التي يستنبطونها، مستمدِّين هذه الشواهد من الشعر القديم – لم يرْضِهم الشعر الحديث، وأعرضوا عنه صفحاً، وتمسكوا بالقديم واعتبروه القدوة المثلى التي ينبغي أن تحتذى، فما وافق مذاهب الأقدمين من شعر المحدثين سكتوا عنه ونظروا إليه بعين الرضا، وما لم

(١) الموشح، المرزباني، تح/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية: ٣٨٤.

(٢) معجم الأدباء: ٤٣/٦.

يوافق مذاهب الأقدمين أعرضوا عنه، ونظروا إليه بعين السخط كما جرى مع أبي تمام الذي عاداه أنصار القديم لما لم يألفوا مذهبه الجديد في قول الشعر(١).

٣- **الإيجاز**: امتاز نقد الأصمعي بإيجازه، فكان يعبِّر عن فكرته بأقلِّ عبارة، ويلحظ على النصوص النقدية التي أُثِرتْ عنه اختصارها الشديد، كما لو أنه لم يكن يرغب في النقد، فلم يحمله عليه إلا الضرورة أو سؤال سائل، وربما كان يصدر حكمه النقدي غير معلَّلٍ، ولا يبين علته التي حملته على ما ذهب إليه إلا عند طلب السامع، عندئذٍ يزوده بالعلة، أي كان أحياناً يحتجّ لرأيه، كما حكى أبو نصر عن الأصمعي قال: كُنّا نظنُّ الطِّرِمّاحَ شيئاً حتى قال:

وأكره أن يعيب عليّ قومي هجائي الأرذلين ذوي الحِنَاتِ

لأنها إِحْنَة وإِحَن، ولا يقال: حِنَات(٢).

وأحياناً لا يحتجّ إذ قرئ على الأصمعي قول أبي النجم:

يسبحُ أخراهُ ويطفو أولُهْ

فقال: حمارُ الكُسَاحِ – إذاً – أَفْرَهُ منه"(٣).

فلم يرضَ الأصمعيُّ عن وصف الشاعر للفرس، فخلص إلى أن حمار الكساح أفضل منه. ولكن محقق الموازنة الأستاذ السيد أحمد صقر وافق الأصمعيَّ في نقده وأيده وعرض رواية أخرى للبيت (يسبح أولاه ويطفو آخره) والبيت على هذه الرواية يبرأ من العيب الذي عابه به الأصمعي. فالجواد إنما يوصف بأنه تسبح أخراه(٤).

وعلى الرغم من ذلك فلا نعدم بعض الإسهاب في نقد الأصمعي، ولاسيما في عرض حجته وبرهانه على حكمه النقدي، فقد قرئ على الأصمعي قول أبي ذؤيب الهُذَليّ:

قَصَرَ الصَّبُوح عليها فَشُرِّجَ لحمُها بالنَّيِّ فهي تَثُوخُ فيها الإصبعُ

تأبى بدِرَّتهـــا إذا مـــا استُكرِهتْ إلا الـحـمـيـمَ فـإنـــه يتبضَّعُ

فقال: هذه الفرس لا تساوي درهمين؛ لأنه جعلها كثيرة اللحم، رخوةً تدخل فيها الإصبعُ، حروناً، إذا حُرِّكتْ قامت، إلا العرق فإنه يسيل"(٥).

---

(١) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام تاريخها وتطورها وأثرها في النقد العربي، د. محمود الربداوي: ٢٠.

(٢) الموازنة، الآمدي: ١/٤٣.

(٣) المصدر نفسه: ١/٤٢.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٤٢.

(٥) المصدر نفسه: ١/٤٠.

قصر: حبس اللبن للفرس، شُرِّجَ لحمُها: أي صار شرجين شحماً ولحماً، والنيّ: الشحم، وتثوخ: تغيب مثل تسوخ.

ونحن نعرف أن الأصمعي خبير بالخيل، ناقدٌ بصيرٌ بمعايبها ومحاسنها وأحوالها وشِيَاتها، وله كتاب طريف فيها تحدث فيه عن شِيَاتها ومحاسنها ومعايبها وأعضائها وصفات عَدْوها وشرّحها تشريحاً دقيقاً، فلا غرابة أن يكون ذا بصيرة في نقد هذين البيتين اللذين يدخلان في صلب تخصصه.

وقال الشافعي: ما عبّر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعي(١).

٤- **جودة الاستدلال:** تميز الأصمعي بجودة استدلاله على ما يذهب إليه ويصدره من أحكام نقدية على النصوص بحق الشعراء، وتتجلى جودة استدلاله بربط الدليل المناسب للنص المناسب، فجعل لكل نص ينقده دليلاً مناسباً له، ومن ثم كان تنوع استدلالاته وغناها، فراوحت بين استدلالات نقلية واستدلالات عقلية واستدلالات لغوية كالآتي:

- الاستدلال العقلي: إذ كان يحتكم الأصمعي في بعض الأحيان إلى عقله، لاستنباط الدليل المُبِين على فكرته، ويخاطب عقل السامع ليقنعه بحُجَّته، ويحيله إلى إعمال عقله في النص. ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن الأصمعي أنه عاب عَديَّ بن الرِّقاع في قوله:

لهم رايةٌ تهدي الجموع كأنها إذا خَطَرَتْ في ثعلبٍ الرُّمْح طائرُ

وقال: الراية لا تخطر، إنما الخَطَران للرمح"(٢).

وكلام الأصمعي يدل على دقَّته وفطنته، فلم يكن منعُهُ الخَطَرانَ للراية لأنه استعارة بل منعه لفساد هذه الاستعارة وعدم إصابتها في جمع المشبه بالمشبه به. إذ كان حرياً بالشاعر أن يجعل الرمح هو الذي يخطر لأنه يشبه ساق الطائر التي يخطر بها. فكأن الرمح ساق الطائر والرية ريشه.

- الاستدلال النقلي: وعاب الأصمعي ذا الرمة بقوله:

حتى إذا دوَّمَتْ في الأرض أدركه كَبْرٌ ولو شاء نجّى نفسه الهربُ

وقال: الفصحاء لا يقولون دوَّم في الأرض وإنما يقولون: دوّم في السماء، إذا حلّق، ودوّى في الأرض إذا ذهب"(٣).

---

(١) بغية الوعاة، السيوطي: ١١٢/٢.

(٢) الموازنة، الآمدي: ٤٧/١.

(٣) المصدر نفسه: ٤٣/١.

- الاستدلال اللغوي: وهذا النوع من الاستدلال كثير جداً، وهو الغالب على غيره من أنواع الاستدلال كما أسلفنا في بداية البحث استناداً إلى كون الأصمعي لغوي أصلاً وكان الأصمعي أيضاً يعيبه في قوله:

ونَقْري عَبيطَ الشَّحْمِ والماء جامسُ

ويقول: إنما يقال للماء جامد، وللسمن وما أشبهه: جامس. وروى ذلك عنه أبو حاتم"(١).

وأبو حاتم طريق من طرق الرواية عن الأصمعي.

" وحكى أبو نصر عن الأصمعي قال: كُنّا نظنُّ الطِّرِمّاحَ شيئاً حتى قال:

وأكره أن يعيب عليّ قومي هجائي الأرذلين ذوي الحِنَاتِ

لأنها إِحْنَة وإِحَن، ولا يقال: حِنَات(٢).

٥- **الأسلوب الإنشائي:** اتَّسمتِ الأحكامُ النقديَّةُ للأصمعي في بعض الأحايين بغلبة الطابع الإنشائي الأدبي عليها، أي كانت لغته النقدية أدبية غير علمية، وهذا ليس بغريب، فالنقد في تلك المرحلة من تاريخ النقد العربي كان كذلك، ويلحظ على لغة الأصمعي على الرغم من إنشائيتها أنَّها ذات رونق وجمال، وعباراتها نقدية حاسمة، واعتمد الأسلوب الكنائيَّ للتعبير عن موقفه النقدي تجاه النصوص، ومن الأمثلة على هذه الخصيصة ما روي عنه أنه قال: لا يقال إلا فلانةُ زوج فلان، ومن قال: فلانةُ زوجةٌ فقد أخطأ، فقال له السِّدريُّ: أليس قد قال ذو الرُّمَة:

أذو زوجةٍ في المِصْرِ أو ذو خصومةٍ أراك لها بالبصرة العامَ ثاويا

فقال: ذو الرّمّة أكل المالحَ والبقلَ في حوانيت البقّالين(٣).

وهذه إشارة منه إلى تحضر ذي الرمة، وأنه ليس أعربياً قُحّاً، إذ إنه طالما خالط أهل الحضر، واختلف إلى الأسواق، حتى فسد لسانه، وقلت فصاحته، وجاء من الكلام بما يجيء به أهل الحضر. وكما يلحظ، فعبارة الأصمعي النقدية ذات جمال ورونق بسبب ما تحمله من معانٍ ضمنية غير صريحة، فكلامه مبني على صورة فنية بلاغية معروفة هي الكناية، فقوله: ذو الرمة أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين كناية عن تحضُّره أو كناية عن قلة فصاحته، أو كناية عن فساد لسانه ولغته.

(١) الموازنة، الآمدي: ١/٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ١/٤٣.

(٣) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: ١٧٢.

وثمة خبر آخر سبق توظيفه في هذا البحث آنفاً، ويمكن الاستشهاد والتمثيل به على اعتماد الأصمعي للأسلوب الإنشائي ولا سيما الكنائي. فقد روي عن الرياشي أنه قال: حدثنا الأصمعي قال: لما قدم المفضّل البصرة أنشد بيت أوس بن حَجَر:

وذات هِدْمٍ عارٍ نواشرُها تُصمِتُ بالماء تَولَباً جَذَعَا

فقال الأصمعي: ما (جَذَعا)؟ قال: الصغير، كالجذَع من الغنم. قال: إنما هو (جَدِعَا) سيئ الغذاء. وكذلك المُحتَّل والمُقربَب والضاوي والمودَن. قال المفضل: لا يكون إلا (جَذَعا) في هذا الموضع. قال الأصمعي: لو نفخت في شَبُّور اليهود ما كان إلا (جَدِعا)، ولا ترويه بعد اليوم إلا (جَدِعا)[١]. والشَّبُّور: شيء ينفخ فيه، وليس بعربي صحيح. وهو البوق. والهدم الخَلَق البالي، والنواشر: عصب الذراع، والتولب: ولد الأتان من الوحش، وهنا بمعنى الطفل[٢].

فقوله: لو نفخت في شبُّور اليهود ما كان إلا (جَدِعا) كناية صارخة عن خطأ المفضَّل وصواب الأصمعي. وهذه الكناية صورة فنية جميلة تثير مكامن اللذة في المتلقي بسبب ما تُكنُّه من عناد الرجل في موقفه النقدي. وهي تشبه بعض الكنايات في وقتنا الحاضر كقول أحدهم للآخر: لو ضربت رأسك في الحائط. أو لو بلّطتَ البحر... وما شابه ذلك.

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: ١٧٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، شبر، هدم، نشر، ولب.

نتائج البحث

توصل البحث إلى جملة من النتائج بعد سبره للموروث النقدي الأدبي عند الأصمعي، ومعالجته بالبحث والدرس والموازنة والتعليل، ومن أبرز هذه النتائج ما يأتي:

١- لم يكن النقد الأدبي القديم حكراً على الأدباء فقط، بل أدلى علماء اللغة بدلائهم في هذا الميدان ونجحوا في امتلاك أدواته، لكنهم لم يبلغوا مرتبة نقاد الأدب من أهل التخصص.

٢- سيطرت ثقافة الأصمعي اللغوية على نقده، فاتسم نقده عامة بالطابع اللغوي الواضح، يشهد على ذلك ما تناوله البحث من أخبار ونصوص وأحكام نقدية صادرة عن الأصمعي تجاه ما عُرض عليه من أعمال شعرية.

٣- تمتع الأصمعي بصفات كثيرة رسمت ملامح شخصيته النقدية، وجعلته في عداد نقاد الأدب، فحقق الشروط الأساسية الواجب على الناقد الأدبي أن يحققها، وعلى رأسها الصدق والموضوعية.

٤- تبين في أثناء هذا البحث أن نقد الأصمعي تفرد بخصائص فنية معيَّنة تميزه من غيره من النقد الأدبي، ولكن وعلى الرغم من ذلك، والحق يقال، لم يأت الأصمعي بمدرسة نقدية جديدة، ولا أسلوب فني في النقد.

٥- سعى الأصمعي في نقده إلى ربط فِكَره بالحجج والأدلة النقلية والعقلية والمنطقية واللغوية، فاعتمد التعليل لما ذهب إليه من أحكام نقدية، ولم يترك كلامه على عواهنه من غيرما تقييد.

٦- برع الأصمعي في مجال النقد الأدبي، ونجح في هذا الفن، وذلك راجع إلى كونه عالماً من علماء اللغة العربية غير مدافَع، وقبل هذا وذلك فهو باحث لغوي ميداني تنقل بين خيم الأعراب وسمع اللغة من أفواههم.

ثبت المصادر

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي علي بن يوسف، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
- الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام تاريخها وتطورها وأثرها في النقد العربي، د. محمود الربداوي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- الذوق الأدبي، د. عبد الفتاح علي عفيفي، مطبعة الأمانة، د.ت.
- طبقات النحويين واللغويين، طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢، دار المعارف، القاهرة.
- العمدة، ابن رشيق، تح محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، د.ت.
- في النقد الأدبي القديم عند العرب، د. مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، مكة للطباعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعرف، القاهرة، د.ت.
- مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، د. شلتاغ عبود شراد، ط١، مجدلاوي، عمان، الأردن، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- المزهر في علوم اللغة، السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، تح: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تح/ السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.
- الموشح، المرزباني، تح/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية.